

رحيل توني موريسون جوهرة الرواية السوداء أدانت صاحبة «جاز» الربط بين العبودية والعرق ونالت نوبل بفعل فرادة أدبها



توني موريسون: لم تنسج عن جذورها لإرضاء القوى المسيطرة في المجتمع الأميركي

حظت من التحزب من القيود التي تكبله. وكتبت موريسون روايتها وكأنها تكتب نغمة جديدة من موسيقى الجاز. جدير بالذكر أن الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما قام بمنح موريسون وسام المديالية الرئاسية للحرية.

الشهيرة «جان» أبلغ تعبير عن تجديدها وتجربتها. ذلك أن أسلوبها يوصف بأنه الأقرب إلى موسيقى الجاز الذائعة الصيت والانتشار، والتي هي ابتكار زنجي أميركا بعد الحرب العالمية الأولى. ومع التحرر الذي اجتاحت الفنون والموسيقى نال الأدب

المبدئي واعترافها بانها لا تكتب انتقاما من العنصرية بل لتغيير اللغة إلى لغة لا تنتقص من الناس، وأنها لا تحمل سيفا، ولا تتبقي رد المظالم، بل تريد ملء الفراغ بصوت النساء السوداوات، وهو الأجر

ممن حيث تعبيرها عن نفسها وتوجه المدوي واعترافها بانها لا تكتب انتقاما من العنصرية بل لتغيير اللغة إلى لغة لا تنتقص من الناس، وأنها لا تحمل سيفا، ولا تتبقي رد المظالم، بل تريد ملء الفراغ بصوت النساء السوداوات، وهو الأجر

جميع الحضارات عبر التاريخ؛ اليونانية، الرومانية، الفرعونية وغيرها قامت على استغلال الطاقة العاملة واستعباد العمال، ولكن الشيء اللامعقول الذي حصل في أميركا هو هذا الربط الجائر بين العرق والعبودية. ومن هنا ربما يكون تصريحها

والخيال بعيدا عن عملها التحريبي، وإصرارها على البحث عن سبيل لتحقيق حلمها الشخصي الذي كان يلبس عليها بوجوب البحث عنه وتحقيقه.

تناولت توني موريسون؛ في كتابها «صورة الآخر في الخيال الأدبي» جوانب من تأثير محيط الكاتب وتشبثه وتربيته على خياله، وكيف يتمظهر الآخر في كتابته، وكيف يتجسد هو بالنسبة للآخر بعد الكتابة. وتستذكر موريسون لحظة مواجهتها الأولى مع قلق الكتابة، وكيف حدث لها ذلك أثناء حفل موسيقي للويس أرمسترونغ، حين كانت في التاسعة عشرة أو العشرين من عمرها، وتصف كيف طفت دقات قلبها تتسارع حتى صارت أقوى من الموسيقى، فارتجت ضلوعها وضغطت على رثتها حتى انحس عنها الهواء، كما تقول، وأصابها التفكير في الموت، وسط التشنجات وضربات الأقدام والشعر الهائل بالذعر، ففزعت إلى الشارع مثل شخص أصابه مس.

عبرت صاحبة «فردوس» عن اعتقادها بأن الكتابة والقراءة ليستا ممارستين متميزتين بشكل واضح بالنسبة إلى الكاتب، وأنهما لا تقتضيان اليقظة والاستعداد لإحتواء الجمال غير القابل للتفسير، ولا التعقيد أو الأناقة البسيطة اللذين يتسم بهما خيال الكاتب، والعالم الذي يستدعيه الخيال.

أدانت موريسون الربط بين العبودية والعنصرية والعرق، وذلك في أكثر من عمل لها، من ذلك روايتها «رحمة» التي نالت شهرة واسعة، وتؤكد موريسون أن جميع الحضارات عبر التاريخ؛ اليونانية، الرومانية، الفرعونية وغيرها قامت على استغلال الطاقة العاملة واستعباد العمال، ولكن الشيء اللامعقول الذي حصل في أميركا هو هذا الربط الجائر بين العرق والعبودية. ومن هنا ربما يكون تصريحها



هشام حسين
كاتب سوري

برحيل الروائية الأميركية توني موريسون، الحائزة على جائزة نوبل للآداب سنة 1993، تفقد الرواية علما من اعلامها المعاصرين، وهي التي حرصت على الانتصار للقضايا الإنسانية في أعمالها، ولم تهان في مواقفها تجاه العنصرية، وصدرت هويتها كامرأة من أصول أفريقية عانت الظلم والإضطهاد لكنها لم تلجأ إلى الانتقام، بل سعت إلى فهم الآخر والعمل على تفكيك منظومته القيمة التي تنتقص من المختلفين عنه، من خلال إظهار ثراء التنوع وجمالياته العابرة للحدود والأعراق.

لم تهان في مواقفها تجاه العنصرية، وصدرت هويتها كامرأة من أصول أفريقية عانت الظلم والاضطهاد

يتقاطع البحث عن الهوية مع بحث الكتابة عن الجذور، وترأها لتلقي في مسعاها هذا مع الكثير من الأدباء الآخرين، ويشكل خاص ممن يعانون نوعا من التهميش والإقصاء في بلدانهم، ويكون بحثهم بمثابة نقطة إنبات على الجذر في الأرض والاستمرارية بنوع من تأكيد الذات وانتزاع الاعتراف بالأحقية والكفاءة والتقدير.

تعذ موريسون من أبرز الكتابات بين الزنوج في أميركا، وكانت قد عملت مستشارة ومحزرة في إحدى دور النشر لسنوات، وذلك قبل أن تنفرد لعلها الخاص، وتحقق النجاحات في عالم الأدب

المرأة السوداء والرجل الأبيض أول حوار عربي مع توني موريسون عشية فوزها بنوبل



توني موريسون في الوسط بين المغنية جيسي نورمان والمغني إلتون جون



فنان غرافيتي خلال عمله على جدارية لتوني موريسون

● توني موريسون: هذه ليست مهمة خاصة. اعتقد أن كل فن جيد له أسنان، لقد حاولوا أن يجعلوا كلمة «سياسي» تبدو شيئا كريها، يعني إشكاليا أو نوايا خفية (Gender). إن الفكرة ليست كذلك، والتي يزيد عمرها على 85 عاما ليست فنا من أجل الفن. ليس ثمة أحد في العالم لم يفكر أن يكتب عن نفسه سواء كان برنارد شو، شكسبير أو إبسن. لقد قرروا ذلك طالما أنهم أموات، بأنهم كانوا يكتبون عن شيء جميل وليس سياسيا. إن ذلك لا يؤذني، فذلك ما يقولونه عن كتاباتي في بعض الأحيان.

من الجلي أن الكتابة السياسية ينبغي ألا تكون خطبة شقشقية ولكن أن تكون جميلة أيضا. لكنني لا أعني كتابة جميلة فحسب يجب أن يتوفر فيها الشكل الجمالي الذي تختارينه لتقولي تلك الأشياء. من جهة أخرى لا أريد أن أقرأ عملا سياسيا فحسب من دون أدنى جهد لجعله عملا فنيا.

● لكنها بالنسبة لي قد حررت (centric). لأن ليس لديك هذا كي تلقى بشأنه. إنها هنا مثل غيمة أو ملامس في غيمة وفق ما كانت الحالة. الآن ثمة أشياء كثيرة للحديث عنها. لا أعلم ما إذا كانت في التعبير، الأسلوب والتركيب، فتمتة قدر من النوع وأنا على ثقة بانها كذلك ولكنها كذلك شخصية تماما.

أمر ذاتي يخص الكاتب. إنه لمن المثير بالنسبة لي كم هي مهمة الشخصية البيضاء بالنسبة للكاتب السود. حتى في كتاب مثل «حادثة شين بل» الذي هو عن استعادة تاريخ ما لحادثة جرت لبعض رجال سود في المدينة، الشخصية التي تتساءل كافة أسئلة والتي يشرح لها كل ذلك هي زوجة الرجل الأسود التي هي بيضاء. لذلك فتمتة دائما حضور أبيض مهم في كتابة الرجال السود.

● قلت أن العمل يجب أن يكون سياسيا وأنه ليس لديك وقت للعب؛

وأن من الضروري أن استخدم الثقافة السائدة في جنوب أميركا، التي في الحقيقة ليس لها علاقة في حدود معرفتي، بنوع السحر والخوارق والميثولوجيا الواضحة في الثقافة السوداء في الولايات المتحدة.

الآن حينما أوظف أشياء مثل أشباح أو ذلك النوع من الميثولوجيا، ذلك لأنه سائد ومتداول لدى الناس والعالم الذي يبتكروه، إنه جزء من دينهم، جزء من فلسفتهم وهكذا. أرى عائلتي أناسا أذكاء وأصيلين، أخذة بعين الاعتبار معاناتهم لثمانية أجيال متتالية. ليس ثمة مسافة قريبة بيننا وبين السحر، لذلك أدخلتها في كتابي. كان تحديا لي أن أجعل السحر ذا معنى بئانيا. في «محبوبة» لا أظن أن القارئ سيدرك كم كانت العبودية مرعبة. وهي في الحقيقة مرعبة، إلا إذا كان لديه شيء فظيع آخر.

الشبح؛ إنه إلى حد ما سعى إلى حماية القارئ من مواجهة الشبابة دفعة واحدة. في مقدوره أن يركز على المتأخرين ويقول: أوه لا أصدق ذلك. إنه توازن بعضها مع بعض. أرى العبودية أكثر فظاعة من الشبح في سياق الأمور.

● هل تعتقد أن الكتاب السود يكتبون على نحو مختلف من الكتابات السوداوات؟

● توني موريسون: اعتقد أن مشاغلهم مختلفة. اعتقد أن الرجال السود والرجال والنساء البيض، ولأسباب متفاوتة في الاختلاف، يهتمون بالرجال البيض. إنه انجذاب طبيعي نحو النفس. النساء البيض يهتمن بالرجال البيض وذلك أمر طبيعي، فهم أزواجهن وأبائهم وأولادهم و«الأخر» أيضا.

الرجال البيض يهتمون بالرجال البيض لأنهم ما هم عليه، إنه انجذاب طبيعي إلى الذات. أما الرجال السود فيهتمون بالرجال البيض لأن ذلك هو العدو الذي إما أن يقضي عليه وإما أن يتفق معه. النساء السوداوات هن فقط ليسوا أبدا محور كتابتهن. ذلك غالبا ما بدا في بعض الدوائر وكانه محدودية. إنه مفهوم «مركزية الجنس» (Gender)

يقبلوا أن يروا حياتك وقد تحطمت كلها في الجالية. الحكم قاس من جانب لكنه من جانب آخر لا يسعى إلى التدمير.

● لاحظت تكرارا في ثيمات روايتك. هل يعني ذلك أنها جميعا متصلة؟

● توني موريسون: من منطلق نظري تبدو وكأن بينها بعض الترابط، تبدو كأنها رواية واحدة. على سبيل المثال في رواية «سولا» ثمة امرأة مسنة، ابنة طفلة التي دورها لديها ابنة طفلة. إنه بيت مثير من النساء. لكن من الواضح أنني لم أكن قد انتهيت تماما من تلك الثيمة. إن أنني أعدت تكرارها في رواية «باح الحليب» و«أغنية سليمان» حيث كان هناك «بيلاب» و«هاغار» و«ريبا» كل ابنة في هذا الوضع اللامتوازن هي أقل نفوذا من الأم المسيطرة. في هذا الوقت تكون قد بلغت الجيل الثالث. شيء ما مختلف كان يجري.

في تصويري إن غياب الرجال الراعين سبب فقدان التوازن. بينما تستطيع «بيلاب» أن تكون ما تتكره لنفسها، نرى إنها في حالة انشداد عميق للرجال، رغم أنها خشنة الطباع. في حين أن علاقة «ريبا» بالرجال هي علاقة حسية محض وبالتالي استسلامية أيضا. المفظة الثالثة «هاغار» انكالية كليا على الرجال، وهي فعليا لا تستطيع العيش من دونهم. ما أكتبه هو نوع من تخفيف حدة أو تشوه العلاقة بين الرجل والمرأة لأنها غير متوازنة حينما كنت أكتب عن «باح الحليب» وفكرت أنه سيكون ذا تربية رجالية تماما وما كنت مدركة إلى أي مدى يحتاج يعرف ما بوسع النساء منحه كي يجعلونه مكتملا. نعم أنت على حق، هناك ثيمات لا تبرز في مواضع ثائية. ذلك يعني أنني لم أستفدنا بعد.

● خلال قراءتي لرواية «محبوبة» لاحظت بأنه يمكن تصنيفها كواقعية سحرية. إنها مشابهة لأدب أميركا اللاتينية. هل ذلك صحيح؟

● توني موريسون: سمعت هذا مرات عديدة. قد يكون له بعض الشرعية في إطار التصنيفات الأدبية، لكنني أحس تجاهها بمعارضة شديدة. إن ذلك يفترض أنه ليست لدي ثقافة يمكن أن استقي منها،

تعبير شخصي ليكون لي أسلوب. حقل للدراسة وعالم كي أقيم فيه، عالمي أنا وليس لأحد آخر. في الوقت نفسه ينتمي إليه كافة هؤلاء الذين لديهم مدخل إليه.

● هل لديك موال في «محبوبة» أم إنه صوت الجالية؟

● توني موريسون: بقوة. إنه أكثر مسرحية لأن لديك امرأة مغزلة عن الجالية وهي تحتضر وتكاد تنج بسبب هذا الانعزال. ليس لديها مكان كي تبرا فيه. هم بالطبع يدينونها بسبب عواقب فعلية اقترفتها في الماضي. كانت تحاول أن تكون أما وأن تحول دون أن ينشأ أولادها قذرين ملطخين. لكن حينما بلغت الأمور مبلغا خطيرا، تدخلت الجالية فطريا في الوقت الملائم كي تنقذها من العفاريث التي تلاحقها. ثمة مرحلة حيث العالم في رحابته (الجالية السوداء)، يضمك بين ذراعيه. ثمة لحظة حيث تكونين منبوذة في الجالية، لكنهم لا يطردونك. إنها ليست كالجاليات الأخرى حيث يطردونك بل يقتلونك. ربما يتر 1 جسون لكنهم لن



فادية فقير
روائية وأكاديمية أردنية
في جامعة حرم

● نموت وربما هذا هو معنى الحياة، ولكننا نضع اللغة وهذا ربما كان مقياس حياتنا. هذا ما قالته توني موريسون التي رحلت عن عالمنا يوم أمس، في أحد آخر تصريحاتها الصحافية. الحوار المنشور هنا هو أول حوار عربي مع موريسون أجرته الروائية والأكاديمية الأردنية فادية الفقير لمجلة «الكاتب» ونشر في العدد 5، أبريل 1994، غداة نيل موريسون جائزة نوبل.

في مارس 1988 جاءت توني موريسون إلى جامعة «إيست إنغليا» كي تقدم قراءة من أعمالها. لمحتها أولا حينما عبرت الغرفة لتصافح التلاميذ المترددين الخجلين. امرأة سوداء متوسطة العمر منسرحة الوجه. تشجعها للتلاميذ هو دلالة على كتابة غير متحرجة، فكرت وخطوت إلى الأمام كي أقدم نفسي.

إبتسامه ومصافحة دافئة، قلت لها إن أعمالها كانت المقدمة المظن لكتابة النساء السود. ابتسمت وعندها ارتكت أنني في حضرة امرأة في تناسق وانسجام مع نفسها ومحيطها. حاولت استدرجها بعيدا عن الجمهور الصاخب، كانت محاوره سخية. أرادت أن تتحدث، تمنح ونفس. شعرت بارتياح معها كما لو كانت أما أو اختا. لا إشارة منافسة أو تهديد. كانت متفهمة للغاية ودافئة والابتسامه الغريضة لم تفارق وجهها. توني موريسون كاتبة في الصميم.

● كامرأة سوداء في المجتمع الأميركي، كيف ينعكس ذلك على كتابتك؟

● توني موريسون: إنها منطقة كتابتي. ما أكتب عنه؛ غايته كامرأة سوداء أن أحول إدراكي إلى شكل فني تنويري على نحو خاص، وفي الوقت نفسه قابل للوصول، فيما لو أرادوا التأكد من حقيقته، إلى أناس آخرين. ولكن الزماني الأول هو أن أحمل شهادته وأسأله في تقديم العدالة إلى الناس الذين أمثلهم، ولكن في